

الإعجاز العلمي لكتاب الله

700 آية من القرآن الكريم احتوت على عجائب الدنيا كلها

يرزخ القرآن الكريم بالعديد من الآيات التي تشير الي الكون وما به من كائنات (أحياء وجمادات)، وإلى صور من نشأتها ومرآجل تكوينها، وإلى العديد من الظواهر الكونية التي ناصحها، والسنن الإلهية التي تحكمها، وما يستتبعها كل ذلك من استخلاص للعبرة ونفهم للحكمة، وما يستوجبه من إيمان بالله، وشهادة بكمال صفاته وأفعاله، وهو – سبحانه وتعالى – الخالق البارئ المصور الذي أبدع الخلق ويعلم وقدره وحكمة لا تحدها حدود، ولا يلبيا حقاها وصف.

وقد أحصى الدارسون لهذه الإشارات الكونية في كتاب الله ما يقدر بحوالي ألف آية صريحة، بالإضافة إلى آيات أخرى عديدة تقرب دلالاتها من الصراحة. وبدوام السماع دائرة المعرفة الإنسانية، وتكرار تأمل المخالفين في كتاب الله، وتذير المتدبرين لآياته – جيلا بعد جيل، وعصرًا بعد عصر – لا ينك العلماء والمختصصون يكتشفون من حقائق الكون الثابتة في كتاب الله ما يؤكد على تحقق الوعد الإلهي الذي يقول فيه ربنا – تبارك وتعالى –: «سَيَرَى بَنِي آدَمَ فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» (فصلت:53).

ويبيهي أن يتباين موقف العلماء من تلك الإشارات الكونية في كتاب الله بتباين الأفراد وخلفياتهم الثقافية وأزمانهم، وباتساع دائرة المعرفة الإنسانية في مجال الدراسات الكونية التي تعرف اليوم باسم دراسات العلوم البحتة والتطبيقية من عصر إلى عصر. وأول من بسط القول في ذلك كان الإمام الغزالي (ت505هـ) في كتابيه «أحياء علوم الدين» و«جواهر القرآن» والذي رفع فيهما شعارات عديدة منها أن القرآن الكريم يشمل العلوم جميعا، وأن من صور إعجاز القرآن الكريم اشتماله على كل شيء، وأن كل العلوم تنشعبت من القرآن الكريم، حتى علم الهيئة، والنجوم، والطب إلى آخر ما ذكر.

وتابع الإمام الغزالي في ذلك كثيرون من العلماء المعاصرين الذين أضافوا إضافات أصيلة إلى هذا الموضوع مما أدى إلى «بروز المنهج العلمي في تفسير القرآن الكريم»، والذي يعتمد في تفسير الإشارات الكونية الواردة في كتاب الله على ضوء من معطيات العلوم البحتة والتطبيقية، مع تفاوت في ذلك من عصر إلى عصر.

ويعتبر تفسير الرازي المعنون «مفاتيح الغيب» أول تفسير يفيض في بيان المسائل العلمية والفلسفية، خاصة ما يتعلق منها بعلم الهيئة، وغير ذلك من العلوم والفنون التي كانت معروفة في

زمانه، والتي كان هو على دراية بها.

■ الإمام الجوهري:

■ البلاغة ليست

■ نهاية علوم القرآن

■ الكريم بل هي بيان

■ لفظه والإعجاز

■ الكوني هو علوم

■ معناه

أية؟ للمنايا كثر التأليف في علم الفقه، وقل جدا في علوم الكائنات التي لا تكاد تخلو منها سورة ؟؛ ولذا فإمتنا نجد في مطلع تفسيره يتوجه ببدء إلى المسلمين يقول فيه: «يا أمة الإسلام، آيات معدودات في القرآن – يقصد آيات الميراث – اجتذبت فرعا من علم الرياضيات، فما بالك يا أمة تلك بسبعمئة آية فيها عجائب الدنيا كلها.. هذا زمان العلوم، وهذا زمان ظهور الإسلام.. هذا زمان رفيع، يا ليت شعري، لماذا لا تعمل في آيات العلوم الكونية ما فعله أبائنا في علوم الميراث ؟». ثم يضيف: «أن نظام التعليم الإسلامي لابد من ارتكازه علوم البلاغة ليست هي نهاية علوم القرآن الكريم، بل هي علوم لفظة، وما كتبه اليوم (يقصد في تفسيره) علوم معناه...».

ولم يكتف الشيخ طنطاوي جوهري في تفسيره بتتبع الآيات واستنتاج معانيها وفق ما ارتآه فيها من اشارات إلى مختلف الدراسات الحديثة؛ بل انه قد استعان في هذا التفسير – الفريد من نوع – بكثير من صور النباتات والحيوانات والظواهر الكونية، والوسائل التجريبية، كما استخدم الآراء الفلسفية عند مختلف المدارس الفكرية وكذلك الأرقام العددية التي ينظمها «حساب الجمل» المعروف.

وقد اعتبر المفسرون من بني عصره ذلك المنهج العلمي في التفسير – كما اعتبر من قبل- جنوحا إلى الاستطراد في تناول بعض آيات القرآن الكريم على غير مقاصدها التشريعية والإيمانية؛ استنادا إلى الحقيقة المسلمة: أن القرآن الكريم لم يات لكي ينشر بين الناس القوانين العلمية ومعادلاتها، ولا جداول المواز وخصائصها، ولا قوائم بإسماء الكائنات وصفاتها؛ وإنما هو في الأصل كتاب هداية، كتاب عقيدة وعبادة وأخلاق ومعاملات، وهي ركائز الدين التي لا يستطيع الإنسان أن يضع لنفسه فيها أية ضوابط صحيحة.

والقرآن العظيم حين يلفت نظر الإنسان إلى مختلف مظاهر هذا الوجود اثما يعرض لذلك من قبيل الاستدراك على قدرة الخالق العظيم وعلمه وحكمته وتدبيره، ومن قبيل إقانة الحجة البينة على الجاحدين من الكافرين والمشركين ومن قبيل التأكيد على أحاطة القدرة الإلهية بالكون وبكل ما فيه، وعلى حاجة الخلق في كل لحظة من لحظات الوجود إلى رحمة ذلك الخالق العظيم وورعائه.



النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن الجفاء وحذر من عقوبته تأليفاً للقلوب

الخصومة تذيب الإيمان.. وعين السخط تعمي عن فضائل الخلق



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الشيطان قد يشن أن يعيده المصلون في جزيرة العرب، ولكنه لم يياس من التحريش بينهم..» ذلك أن الشر إذا تمكن من الأفئدة فتناثر ودها، وانكسرت زجاجتها ارتد الناس إلى حال من القسوة والعناد، يقطعون فيها ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض.. وقد ثبتقت الإسلام ليواري الجفاء، فلاحقها بالعلاج، قيل أن تستفحل وتستحيل إلى عداوة فاجرة، والمعروف أن البشر متفاوتون في أمرجنتهم وأفهامهم، وإن التفاهم في مبادئ الحياة قد يتولد عنه ضيق وانحراف، إن لم يكن صدام وتباعد. ولذلك شرع الإسلام من المبادئ ما يرد عن المسلمين عوادي الانقسام والفتنة وما يبسك قلوبهم على مشاعر الولاء

والإسلام ويحاذر وقوعه، ويرى متعه أفضل القربات. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا أخيركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة؟ قالوا: بلى! قال؟ إصلاح ذات البين، فإن فساد ذات البين هو الحالقة، لا أقول تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين».

ربما عجز الشيطان أن يجعل من الرجل العاقل عايد صتم، ولكنه وهو الحريص على إغواء الإنسان وإبراده للمالك لن يعجز عن المباحدة بينه وبين ربه، حتى يجهل حقوقه أشد ما يجهل الوثنى للخزف، وهو يحال ذلك بإيقاد نيران العداوة في القلوب. وإذا اشتعلت أستمع الشيطان برويتها وهي تحرق حاضر الناس ومستقبلهم وتلتهم علاقتهم وفضائلهم:

سلامة الصدر من الأحقاد ليس أروح للمرء، ولا أطرد لهوموه، ولا أقر لعينه من أن يعيش سليم القلب، مبرا من وساوس الضغينة، وتوران الأحقاد. إذا رأى نعمة تنساق إلى أحد رضي بها، وأنحس فضل الله فيها وفقر عبادته إليها، وذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم ما أصعب بي من نعمة أو يأحد من خلقك فمكك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر»، وإذا رأى أذى يلحق أحدا من خلق الله رني له، ورجا الله أن يفرج كربه ويغفر ذنبه، وذكر مناشدة الرسول ربه: إن تغفر اللهم تغفر جماً وإني عبد لك ما لنا، وبذلك يحيا المسلم ناصع الصفحة، راضيا عن الله وعن الحياة، مستريح النفس من نزعات الحقد الأعمى، فإن فساد القلب بالضغائن داء عياد، وما أسرع أن يسرب الإيمان من القلب المغشوش، كما يسرب السائل من الإناء المثلثوما.

ونظرة الإسلام إلى القلب خطيرة، فالتقلب الأسود يفسد الأعمال الصالحة ويطمس بهيجتها ويعبر صلوها، أما القلب المشرق فإن الله يبارك في قلبه، وهو إليه بكل خير أسرع: عن عبدالله ابن عمرو -قيل: يا رسول الله أب الناس أفضل؟ قال: كل مخموم القلب صدوق اللسان، قيل: صدوق اللسان تعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: هو التقي التقى، لا إثم فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد.. ومن ثم كانت الجماعة المسلمة حقا هي التي تقوم على عواطف الحب المشترك، والود والشائع، والنعاون المتبادل، والمجاملة الدقيقة، لا مكان فيها للفرديّة المتسلطة الكنود، بل هي كما وصف القرآن: «والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنا كنا رؤوف رحيم».. إن الخصومة إذا نمت وغارت جذورها، وتفرعت أشواكها شلت زهرات الإيمان الغض، وأذوت ما يوحى به من حنان وسلام، وعندئذ لا يكون في أداء العبادات المفروضة خير، ولا تستفيد النفس منها عزيمة، وكثيرا ما تطيش الخصومة بالباب ذوبها، فتتدلى بهم إلى الفتراف الصغائر المسفطة للمرودة والتباير الموجبة للعتة، وعن السخط تنظر من زاوية داكنة، فهي تعمى عن الفضائل وتضمخ الرذائل وقد يذهب بها الحقد إلى التخليل والفتراض الأكاذيب وذلك كله مما تسخطه



أساليب المشركين في محاربة الإسلام

محاولات فاشلة لتشويه دعوة الرسول

استلحق تلك الحرب الإعلامية المنظمة أن تحاصر دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل استخاع محمد صلى الله عليه وسلم أن يخترق حصار الأعداء، الذين لم يكتفوا ببتقير ساكني مكة من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتشويه سمعته عندهم، بل صاروا يتلقون الوافدين إليهم ليسمعوا أفكارهم، وليجولوا بينهم وبين سماع كلامه، والتأثر بدعوته، ففكر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم غلبم النجاح في دعوته، يلبغا في التأثير على من خاطبه، حيث يؤثر على من جالسه يهيئته وسعته وقادره، قيل أن ينكلم، ثم إذا تحدث أسر سامعيه بمنطقه النبيلة للمخلف في العمل السليم، والعاطفة الجياشة بالحب والصفاء، والتبعية الخاصة في هداية الأمة، بوحى الله تعالى، ومن أبرز الأمثلة على قوته في التأثير بالكلمة المعبرة والأخلاق الكريمة، وقدرته على اختراق الجدار الحديدى الذي حاول زعماء مكة ضربه عليه، ما كان من موقفه مع ضمام الأذى، وعمرو بن الطفيل الدوسى، وأبي ذر، وعمرو بن عبسة رضي الله عنهم.

إلا سَيَرَّ يُؤْذِرُ، إِنَّ هَذَا إِذْ قَوْلُ الْبَشَرِ، سَأَصْلَحِيهِ سَقَرُ [المشر: 11-26]. وينضح من هذه القصة أن الحرب النفسية المضادة للرسول صلى الله عليه وسلم لم تكن توجه اعتباطا، وإنما كانت تعد بإحكام ودقة بين زعماء الكفار، وحسب قواعد معينة، هي أساس القواعد المعمول بها في تخطيط الحرب النفسية في العصر الحديث، كاختيار الوقت المناسب، فهم يختارون وقت تجمع الناس في موسم الحج، والاتفاق وعدم التناقض، وغير ذلك من هذه الأسس حتى تكون حملتهم منظمة، وبالتالي لها تأثير على وفود الحجيج، فتؤتي ثمارها المرجوة منها، ومع اختيارهم للزمان المناسب، فقد اختاروا أيضا مكانا مناسباً حتى تصل جميع الوفود القادمة إلى مكة، وينضح من هذا الخبر عظمة النبي صلى الله عليه وسلم وقوته في التأثير بالقرآن على سامعيه، فالوليد بن المغيرة كبير قريش ومن أكبر ساداتهم، ومع ما يحصل عادة للكبراء من التكبر والتعاطف فإنه قد تأثر بالقرآن، ورق له، واعترف بعظمته ووصفه بذلك الوصف البليغ، وهو في حالة استجابة لذاء العقل، ولم

فقال: ما هو يشاعر، قد عرفنا الشعر برجزه وقريضه ومقبوضه وميسوطه، فما هو بالشعر.

قالوا: فنقول ساحر.

قال: ما هو بساحر، لقد رأينا السكار وسحرهم، فما هو بئفله، ولا عقه.

قالوا: فما نقول يا أبا عبيدشمس؟

قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذوق وإن فرعه لجنحة، وما ائتم بقائلين من هذا شيئا إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول لأن تقولوا: ساحر، فقولوا: ساحر يفرق بين المرء وبين أبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته.

فأنزل الله تعالى في الوليد: (ذُرِّي وَمَنْ خَلَقْتَ وحيداً، وجعلتْ له مَلاَئِئَ مَعْدُوداً، وَبَيْنَ شُهُوداً، وَمَهْدَتْ لَهُ تَهْمِيداً، ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ، كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً، سَأَرْفَعُهُ صَعُوداً، إِنَّهُ فَعَلَّ فَعْلَ قَدَرٍ، قَتَلْ كَيْفَ قَتَرَ، ثُمَّ نَظَرَ، ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ، ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ، . فقال إن هذا قتل كيف قتر، ثم نظر، ثم عبس وبسر، ثم أدبر واستكبر، . فقال إن هذا

قام مشركو مكة بمحاولة تشويه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم، ولذلك نلغمت قريش حرباً إعلامية ضده لتشويهه، فأدما الوليد بن المغيرة، حيث اجتمع مع نفر من قومه، وكان ذا سن فيهم، وقد حضر موسم الحج فقال لهم: يا معشر قريش إنه قد حضر الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم، وقد سمعوا بامر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيا واحدا، ولا تختلفوا فيكذب بعضهم بعضا، ويرد قولكم بعضه بعضا. فقالوا: فإنت يا أبا عبيدشمس، فقل لنا رأيا نقول به.

قال: بل ائتم قولوا اسمع.

فقالوا: نقول كاهن.

قال: ما هو بكاهن، لقد رأيت الكهان فما هو بزمنة الكاهن وسجعه.

فقالوا: نقول مجنون.

فقال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو تخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته. فقالوا: نقول شاعر.